ثلاث رسائل في العقيدة:

العقيدة الصحيحة
ونواقض الإسلام
وأقسام التوحيد

تأليف

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

(١)

العقيدة الصحيحة وما يضادها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فلمَّا كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة ، رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة .

ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتُقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بَطُلَ ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال ؛ كما قال تعالى : ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ**

﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر : ٦٥] . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقد دلَّ كتاب الله المبين وسنّة رسوله الأمين – عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم – على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه .

فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز ، وبعث الله بها رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام .

ويتفرع عن هذه الأصول كلُّ ما يجب الإيمان به من أمور الغيب وجميعُ ما أخبر الله به ورسوله ﷺ .

وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جدًّا، فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] .

أما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول فكثيرة جدًّا .

منها الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه ، من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، فقال له : « **الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . الحديث ، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة .

وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه ، وفي أمر المعاد ، وغير ذلك من أمور الغيب .

أولًا : الإيمان بالله

من الإيمان بالله سبحانه ؛ الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه ؛ لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرِّهم وعلانيتهم ، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم ، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] .

وقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١، ٢٢] .

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه ، والتحذير مما يضاده ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال عز وجل : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود : ١ - ٢] .

وحقيقة هذه العبادة هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبّد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر ... وغير ذلك من أنواع العبادة ، على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذّل لعظمته .

وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم كقوله سبحانه : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر : ٢ - ٣] .

وقوله سبحانه : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٢٣] . وقوله ﷻ : ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر : ١٤] .

وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **حَقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا** » .

* ومن الإيمان بالله أيضًا الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة - وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ،

وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر .

وأهم هذه الأركان وأعظمها شهادة :

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

* فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن معناها : لا معبود بحق إلا الله ، فكل ما عُبد من دون الله من بَشَر أو مَلَك أو جِنِّي أو غير ذلك فكله معبود بالباطل ، والمعبود بالحق هو الله وحده - كما قال سبحانه : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج : ٦٢] .

وقد سبق بيان أن الله سبحانه خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به ، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه ، فتأمل ذلك جيدًا وتدبّره كثيرًا ؛ ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل

الأصيل حتى عبدوا مع الله غيره ، وصرفوا خالص حقه لسواه ، فالله المستعان .

* ومن الإيمان بالله سبحانه الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شئونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه ، وأنه مالك الدنيا والآخرة وربُّ العالمين جميعًا ، لا خالق غيره ، ولا ربّ سواه ، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتُهم وصلاحهم في العاجل والآجل ، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ

رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

* ومن الإيمان بالله أيضًا الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه العزيز ، والثابتة عن رسوله الأمين ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف ، مع الإيمان بما دلَّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجل يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال عز وجل : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٤] .

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة مِن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، وهي التي نقلها

الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه « المقالات » عن أصحاب الحديث وأهل السنة ، ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان .

قال الأوزاعي رحمه الله : سُئل الزهري ومكحول عن آيات الصفات فقالا : **أَمِرُّوها كما جاءت .**

وقال الوليد بن مسلم رحمه الله : سُئل مالك والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات ، فقالوا جميعًا : أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف .

وقال الأوزاعي رحمه الله : كنا والتابعون متوافرون ؛ نقول : إن الله سبحانه على عرشه ، ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات .

ولما سُئلَ ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك - رَحْمَة الله عليهما - عن الاستواء قال : « **الاستواء غير**

مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق »[1] .

ولما سُئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك قال : « **الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة** » . ثم قال للسائل : « **ما أراك إلا رجل سوء ، وأمر بـه فأُخرج** »[2] .

وروى هذا المعنى عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

وقال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه : « **نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن مِن خَلْقه** » .

وكلام الأئمة في هذا الباب كثير جدًّا لا يمكن نقله

(١) أخرجه الدارمي واللالكائي وأبو نعيم وغيرهم ، وانظر تقريب التدمرية (ص٣٩) ط . مكتبة السنة ، تحقيق سيد الجليمي .
(٢) انظر : تقريب التدمرية ، تحقيق سيد الجليمي .

في هذه العُجَالة ، ومن أراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب مثل كتاب « السُنة » لعبد الله ابن الإمام أحمد ، وكتاب « التوحيد » للإمام الجليل محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » لأبي القاسم اللالكائي الطبري ، وكتاب « السنة » لأبي بكر بن أبي عاصم ، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة ، وهو جواب عظيم كثير الفائدة قد أوضح فيه رحمه الله عقيدة أهل السنة ، ونقل فيه الكثير من كلامهم ، والأدلة الشرعية والعقلية على صحة ما قاله أهل السنّة ، وبطلان ما قال خصومهم .

وهكذا رسالته الموسومة بالتدمرية ، فقد بسط فيها المقال وبيّن فيها عقيدة أهل السنة بأدلتها النقلية والعقلية والردّ على المخالفين بما يظهر الحق ويدمغ الباطل لكل مَن نظر في ذلك مِن أهل العلم بقصدٍ

صالح ورغبةٍ في معرفة الحق .

وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات فإنه يقع - ولا بد - في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية ، مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه .

* أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم ، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ في سنته الصحيحة ، إثباتًا بلا تمثيل ، ونزّهوه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل ، ففازوا بالسلامة من التناقض ، وعملوا بالأدلة كلها ، وهذه سنة الله سبحانه فيمن تمسّك بالحق الذي بعث به رسله ، وبذل وسعه في ذلك وأخلص لله في طلبه أن يوفقه للحق ويظهر حجته - كما قال تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٣] .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره المشهور - عند كلامه على قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] - كلامًا حسنًا في هذا الباب يحسن نقله هاهنا لعظم فائدته ، قال رحمه الله ما نصُّه : « للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا ؛ وهو إمرارها كما جاءت ، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعيم بن حَمّاد الـخُزاعي شيخ البخاري - قال : مَن شبّه الله بخَلْقِهِ كفر ، ومَن جحد ما وصف اللهُ به نفسه فقد كَفَر ، وليس فيما وصف اللهُ به نفسه ولا رسولُه تشبيه ، فمن أثبتَ لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفَى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى » . اهـ .

ثانيًا : الإيمان بالملائكة

يتضمن الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا ، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته ووصفهم بأنَّهم : ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ

مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٦- ٢٨] .

وهم أصناف كثيرة منهم الموكّلون بحمل العرش ، ومنهم خزنة الجنة والنار ، ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد .

ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى اللهُ ورسولُه منهم ، كجبريل ، وميكائيل ، ومالك خازن النار ، وإسرافيل الموكّل بالنفخ في الصور ، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم** » أخرجه مسلم في صحيحه .

ثالثًا : الإيمان بالكتب

يجب الإيمان إجمالًا بأن الله سبحانه قد أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله لبيان حقِّه والدعوة إليه ، كما قال

تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن .

والقرآن الكريم هو أفضلها وخاتمها ، وهو المهيمن عليها والمصدِّق لها ، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمدًا ﷺ رسولًا إلى جميع الثقلين ، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم ، وجعله شفاءً لما في الصدور وتبيانًا لكل شيء وهدًى ورحمة للمؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿وَهَٰذَا

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٥] . وقال سبحانه : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] . وقال تعالى : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

رابعًا : الإيمان بالرسل

يجب الإيمان بالرسل إجمالًا وتفصيلًا ، فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلًا منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق ، فمن أجابهم فاز بالسعادة ، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة . وخاتمهم وأفضلهم هو

نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، كما قال الله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] . وقال تعالى : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] . وقال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

ومَنْ سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنَّا به على سبيل التفصيل والتعيين كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم ، عليهم وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

خامسًا : الإيمان باليوم الآخر

وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ، كفتنة

القبر وعذابه ونعيمه ، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ، ونشر الصحف بين الناس ، فآخذٌ كتابه بيمينه ، وآخذٌ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره ، ويدخل في ذلك أيضًا الإيمان بالحوض المورود لنبيِّنا محمد ﷺ ، والإيمان بالجنة والنار ، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم ، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بيَّنه الله ورسوله ﷺ .

سادسًا : الإيمان بالقدر

وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة :

الأمر الأول : أن الله سبحانه قد عَلِمَ ما كان وما يكون ، وعلم أحوال عباده ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شئونهم ، لا يخفى عليه من

ذلك شيء سبحانه وتعالى ، كما قال سبحانه : ﴿**أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال : ٧٥، وغيرها] ، وقال ﷻ : ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق : ١٢] .

والأمر الثاني : كتابته سبحانه لكل ما قدَّره وقضاه كما قال سبحانه : ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق : ٤] .

وقال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَىۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] .

الأمر الثالث : الإيمان بمشيئته النافذة ؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ؛ كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج : ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٩] .

الأمر الرابع : خَلْقهُ سبحانه لجميع الموجودات ، لا خالقَ غيرُه ، ولا ربَّ سواه ، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر : ٦٢] . وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر : ٣] .

فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، خلافًا لمن أنكر بعضَ ذلك من أهل البدع .

* ويدخل في الإيمان بالله اعتقاد أن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر ، كالزنا ، والسرقة ، وأكل الربا ، وشرب المسكرات ، وعقوق الوالدين – وغير ذلك من الكبائر – ما لم يستحل ذلك ، لقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨، ١١٦] .

ولما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ **أن الله يُخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال حبة مِن خردل من إيمان .**

* ومن الإيمان بالله الحب في الله والبُغض في الله ، والموالاة في الله والمعاداة في الله ، فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم ، ويبغض الكفار ويعاديهم ، وعلى

رأس المؤمنين من هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ .

فأهل السنة والجماعة يحبونَهم ويوالونَهم ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء ؛ لقول النبي ﷺ : « **خير الناس قَرْني ، ثم الذين يلونَهم ، ثم الذين يلونَهم** » متفق على صحته .

ويعتقدون أن أفضلهم أبو بكر الصدّيق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضي ، رضي الله عنهم أجمعين ، وبعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ويمسكون عما شَجَر بين الصحابة ، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون ، من أصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر ، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ المؤمنين به ويتولونَهم ، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، ويترضّون عنهن جميعًا .

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحابَ رسول الله ﷺ ويسبونَهم ويغلون في أهل البيت ، ويرفعونَهم فوق منْزلتهم التي أنزلهم الله ﷻ إياها ، كما يتبرؤون من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل .

وجميع ما ذكرناه في هذه الكلمة الموجزة هي العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمد ﷺ ، وهي عقيدة الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، التي قال فيها النبي ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه** »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين**

(١) متواتر . راجع نظم المتناثر (ح١٤٥) .

وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » . فقال الصحابة : مَن هي يا رسول الله ؟ قال : « **مَن كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي** »(١) .

وهي العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها والحذر مما خالفها .

* وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة :

فمنهم عبّاد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار وغيرها ، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل ؛ بل خالفوهم وعاندوهم ، كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد

---

(١) الترمذي (٢٦٤١) ، وانظر المشكاة (١٧١) ، وشرح الطحاوية (٢٦٣) ، والسنة لابن أبي عاصم (ح٦٣ فما بعدها) .

ﷺ ، وكانوا يسألون معبوادتهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى والنصر على الأعداء ، ويذبحون لهم وينذرون لهم ، فلما أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده ، استغربوا ذلك وأنكروه ، وقالوا : ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص : ٥] . فلم يزل ﷺ يدعوهم إلى الله وينذرهم من الشرك ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتى هدى الله منه من هدى ، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا ، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة وجهاد طويل من رسول الله ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، ثم تغيرت الأحوال وغلب الجهل على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية ، بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك من أنواع الشرك ، ولم

يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كفّار العرب ! فالله المستعان .

ولم يزل هذا الشرك يتفشى في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل ، وبُعد العهد بعصر النبوّة .

وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين ، وهي قولهم : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] ، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] .

وقد أبطل الله هذه الشبهة ، وبيَّن أن مَن عبد غيره كائنًا من كان فقد أشرك به وكفر ، كما قال تعالى : ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] .

فرد الله عليهم سبحانه بقوله : ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] .

فبين سبحانه في هذه الآيات أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء أو غيرهم هي الشرك الأكبر، وإن سماها فاعلوها بغير ذلك، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فردّ الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣].

فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه، وأكذبهم في قولهم أن آلهتهم تقربهم إليه زلفى.

* ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة والمخالفة لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس

ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر ، سواء سموا ذلك اشتراكية ، أو شيوعية ، أو بعثية ، أو غير ذلك من الأسماء ، فإن مِن أصول هؤلاءِ الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة ، ومن أصولهم إنكار المعاد ، وإنكار الجنة والنار ، والكفر بالأديان كلها ، ومن نظر في كتبهم ودرس ما هم عليه علم ذلك يقينًا ، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية ومفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة .

* ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوّفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير ، ويتصرفون في شئون العالم ، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث ، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم ، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية ، وهو شر من شرك جاهلية

العرب ؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة ، وكان شركهم في حال الرخاء ، أما في حال الشدّة فيخلصون لله العبادة ، كما قال الله سبحانه : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ..

❊ أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين :

إحداهما : شرك بعضهم في الربوبية .

والثانية : شركهم في الرخاء والشدة ؛ كما يعلم ذلك مَن خالطهم وسَبَر أحوالهم ورأى ما يفعلون عند « قبر الحسين والبدوي » ، وغيرهم في مصر ، وعند قبر « العيْدروس » في عَدَن ، و« الهادي » في اليمن ، و« ابن عربي » في الشام ، و« الشيخ عبد القادر الجيلاني » في العراق ، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة وصرفوا لها الكثير من حق الله ﷻ ، وقَلّ مَن ينكر عليهم ذلك ويبيّن لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ ومن قبله من الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . نسأله سبحانه أن يردّهم إلى رشدهم ، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى ، وأن

يوفق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك والقضاء عليه ، إنه سميع قريب .

* ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع من الجَهْمية والمعتزلة ، ومَن سلك سبيلهم في نفي صفات الله ﷻ ، وتعطيله – سبحانه – من صفات الكمال ، ووصفه ﷻ بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات – تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا .

ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضهـا ، كالأشاعرة ، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فَرُّوا منه في الصفات التي نفوها وتأولوا أدلتها ، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية ، وتناقضوا في ذلك تناقضًا بيّنًا .

أما أهل السنة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه ما

أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على وجه الكمال ، ونزّهوه عن مشابهة خَلْقه تنْزيهًا بريئًا من شائبة التعطيل ، فعملوا بالأدلَّة كلها ولم يحرّفوا ولم يُعطِّلوا وسَلِموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم - كما سبق بيان ذلك - وهذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة ، وهو الصراط المستقيم الذي سلكه سلف هذه الأمة وأئمتها ، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح به أولهم ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وترك ما خالفهما .

❊ ❊ ❊

(٢)

نواقض الإسلام

اعلم أيها الأخ المسلم أن الله سبحانه أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام والتمسك به والحذر مما يخالفه ، وبعث نبيه محمدًا ﷺ للدعوة إلى ذلك ، وأخبر عزَّ وجلَّ أن من اتبعه فقد اهتدى ، ومن أعرض عنه فقد ضلّ ، وحذر في آيات كثيرة من أسباب الردة وسائر أنواع الشرك والكفر ، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ؛ ويكون بها خارجًا عن الإسلام .

ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض[١] .

---

(١) ذكرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم – رحمهم الله جميعًا – ، وانظر : « الإلمام بمسائل الإعلام » ، طبعة السنة .

نذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز ، لتحذرها وتحذّر منها غيرك ، رجاءَ السلامة والعافية منها ، مع توضيحات قليلة تُذكر بعدها .

الأول من النواقض العشرة : الشرك في عبادة الله :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة : ٧٢] ، ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

الثاني : مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم ، فقد كفر إجماعًا .

الثالث : مَن لم يكفّر المشركين ، أو شكَّ في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ؛ فقد كفر .

الرابع : من اعتقد أن هَدْي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر(1) .

الخامس : من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به ؛ فقد كفر ؛ لقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : 9] .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه ؛ كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة : 65، 66] .

السابع : السحر ، ومنه الصَّرْف(2) ، والعطف(3) ،

---

(1) انظر ص42، 43، ذَكَر أمورًا تدخل أيضًا تحت هذا القسم .

(2) الصرف : عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه ؛ كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها .

(3) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية.

فمن فعله أو رضى به ؛ كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

الثامن : مظاهرة(١) المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(٢)﴾ [المائدة : ٥١] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

العاشر : الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ(٣) مِمَّن

---

(١) المظاهرة : المناصرة والتعاون معهم على المسلمين .

(٢) الظالمين : الكافرين .   (٣) من أظلم : أي لا أحد أظلم .

ذُكِّرَ(١) بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ(٢) إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ(٣)﴾ [السجدة : ٢٢] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازئ والجاد والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا ، وأكثر ما يكون وقوعًا ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه .

ويدخل في **القسم الرابع** من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام .

أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين .

أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين .

---

(١) التذكير : الوعظ ولفت النظر إلى ما يجب استحضاره .
(٢) الإعراض : الصّد والتولّي .
(٣) الانتقام : الأخذ بشدة على فعل سابق .

أو أن يُحْصَر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى .

ويدخل في **الرابع** أيضًا من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر .

ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما ، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة ؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعًا ، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله ؛ فهو كافر بإجماع المسلمين .

نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٣)

أقسام التوحيد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى بعث رسله عليهم الصلاة والسلام دعاة للحق ، وهداة للخلق ، بعثهم مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فبلّغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة ، ونصحوا لأممهم ، وصبروا على أذاهم ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، حتى أقام الله بهم الحجة وقطع بهم المعذرة .

كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل :

٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال سبحانه : ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، فبيّن سبحانه في هذه الآيات أنه أرسل الرسل ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده ، وينذرونهم عن الشرك به وعبادة غيره ، وقد بلغ الرسل عليهم الصلاة والسلام ذلك ، ودعوا إلى توحيد الله في عبادته ، فأرسوا لأممهم قواعد العدالة والبر والسلام ، ونجحوا في مهمتهم غاية النجاح ؛ لأن مهمتهم هي البلاغ والبيان ، أما الهداية للقلوب وتوفيقها لقبول الحق فهذا بيد الله سبحانه ليس بيد الرسل ولا غيرهم ، كما قال الله ﷻ : ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة :

٢٧٢] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل : ٣٥] ، وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥] .

ولا سيما خاتمهم وإمامهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ، فإنه قد نجح في دعوته أعظم نجاح ، وأكمل الله له ولأُمته الدِّين ، وأتم عليهم النعمة ، وجعل شريعته شريعة كاملة عامة لجميع الثقلين منتظمة لجميع مصالحهم العاجلة والآجلة ، كما قال الله ﷻ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ : ٢٨] ، وقال ﷻ : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقد أجابهم الأقلون، وكفر بهم الأكثرون جهلًا وتقليدًا للآباء والأسلاف، واتباعًا للظن والهوى، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبًا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ

قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ١٩-٢٥]، وقال تعالى لما ذكر اللات والعزى ومناة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد يحمل بعضهم على التكذيب والمخالفة الحسدُ والبغيُ والاستكبارُ مع كونه يعرف الحق، كما جرى لليهود فإنهم يعرفون محمدًا عليه الصلاة والسلام كما يعرفون أبناءهم، ولكن حَمَلَهُم البغيُ والحسدُ وإيثارُ العاجلة على تكذيبه وعدم اتباعه، وكما جرى لفرعون وقومه؛ قال الله تعالى عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال

تعالى عن فرعون وقومه : ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل : ١٣ - ١٤] ، وقال سبحانه عن كفار قريش في تكذيبهم لمحمد ﷺ : ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام : ٣٣] ، وقد كانوا يعرفونه في الجاهلية بالصدق والأمانة ويُسَمّونه الأمين ويشهدون له بالصدق ، فلما جاءهم بغير ما عليه آباؤهم وأسلافهم أنكروا عليه وكذبوه وعادَوْه وآذَوْه وقاتلوه ، وهذه سُنَّة الله في عباده مع الرسل ودعاة الحق ؛ يُمتحنون ويُكذَّبون ويُعادون ، ثم تكون لهم العاقبة - كما شهدت بذلك الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة والوقائع المعروفة قديمًا وحديثًا ، وكما شهد بذلك هِرَقْل عظيم

الروم لما سأل أبا سفيان عن حالة النبي ﷺ وسيرته وكيف الحرب بينهم وبينه، فقال أبو سفيان: إنَّها بينهم وبينه سجَال يُدالون عليه ويُدال عليهم. فقال هرقل: هكذا الرسل تُبتَلَىٰ ثم تكون لهم العاقبة.

وقد وعد الله الرسل وأتباعهم بالنصر والتمكين وحُسن العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ

يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد : ٧ – ٩] ، وقال ﷻ : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور : ٥٥] ،والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومن تأمل سنة الله في عباده علم صحة ما دلت عليه هذه الآيات من جهة الواقع ، كما قد علم ذلك من جهة النقل ، وإنما يصاب أهل الإسلام في بعض الأحيان بسبب ما يحصل منهم من الذنوب والتفريط في أمر الله وعدم الإعداد المستطاع

لأعدائهم، ولحكم أخرى وأسرار عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

ومن يتأمل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وحال الأمم الذين دعتهم الرسل يتضح له أن التوحيد الذي دعوا إليه **ثلاثة أنواع**: نوعان أقر بهما المشركون فلم يدخلوا بهما في الإسلام، وهما: **توحيد الرُبُوبيَّة**، **وتوحيد الأسماء والصفات**.

أما توحيد الربوبية: فهو إقرار بأفعال الربِّ من

الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه ، فإن المشركون قد أقروا بذلك ، واحتج الله عليهم به ؛ لأنه يستلزم توحيد العبادة ويقتضيه كما قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١] ، والمعنى : فقل : أفلا تتقون الإشراك به في عبادته وأنتم تعلمون أنه الفاعل لهذه الأشياء ؟! وقال تعالى : ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكلها دالة على إقرارهم بأفعال الرب سبحانه ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام كما تقدم لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده ، وذلك حجة عليهم فيما أنكروه من توحيد العبادة ، لأن الخالق لهذه الأشياء التي أنكروها هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له .

أما النوع الثاني : وهو توحيد الأسماء والصفات :

فقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرات ولم ينكره المشركون سوى ما ذكر عنهم من إنكار الرحمن في قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد : ٣٠] .

وهذا منهم على سبيل المكابرة والعناد وإلا فهم يعلمون أنه سبحانه هو الرحمن كما وجد ذلك في كثير من أشعارهم ، قال الله سبحانه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢] ، وقال الله ﷻ : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص] ، وقال سبحانه : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، قال ﷻ : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٤] ، وقال سبحانه : ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٤] ، والآيات في هذا

المعنى كثيرة ، وكلها دالة على أن الله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له في ذلك ، وقد أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة من الأسماء والصفات وإمرارها كما جاءت ، والإيمان بأن الله سبحانه موصوف بها على الحقيقة ، لا على المجاز ، على الوجه اللائق به لا شبيه له في ذلك ولا نِدَّ له ولا كُفُوا ، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه ، وهو الموصوف بمعانيها كلها على الكمال المطلق الذي لا يشابهه فيها أحد كما تقدم في قوله عز وجل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وهذا النوع حجة قاطعة على استحقاق ربنا سبحانه العبادة كالنوع الأول .

أما النوع الثالث : فهو توحيد العبادة : وهو الذي جاءت به الرسل ونزلت الكتب بالدعوة إليه والأمر بتحقيقه وخَلَقَ الله من أجله الثَّقَلَين، وفيه وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام إن كل واحد منهم قال لقومه : ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

وقال سبحانه : ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على أن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الخلق ليُعبد وحدَه لا شريك له ويُخص بالعبادة دون كل ما سواه.

وقد تنوعت عبادة المشركين لغير الله: فمنهم من

عبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الأشجار والأحجار، ومنهم من عبد الكواكب وغيرها، فأرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب لإنكار ذلك كله ودعوة الخلق كلهم إلى عبادة الله وحده دون كل ما سواه، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُتقرب بالنُّذور والذبائح إلا له عزوجل، إلى غير ذلك من أنواع العبادة.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وقد زعم المشركون أنهم قصدوا بعبادة الأنبياء والصالحين واتخاذهم الأصنام والأوثان آلهة مع الله - زعموا أنهم إنما أرادوا بذلك القربة والشفاعة إلى الله سبحانه - فردّ اللّه عليهم ذلك وأبطله عز وجل:

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال عز وجل : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر : ٢- ٣] .

ولما دعا نبينا محمد ﷺ قريشًا وغيرهم من كفّار العرب إلى هذا التوحيد أنكروه واحتجّوا على ذلك بأنه خلاف ما عليه آباؤهم وأسلافهم كما قال سبحانه : ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾

[ص : ٤، ٥] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات : ٣٥، ٣٦] ، وقال الله سبحانه : ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات : ٣٧] ، والآيات الدالة على كفرهم واستكبارهم وعنادهم كثيرة جدًّا قد سبق الكثير منها .

فالواجب على الدعاة إلى الله سبحانه أن يبلغوا عن الله دينه بعلم وبصيرة ، وأن يصبروا ولا ييأسوا ، وأن يتذكروا وعدَ اللهِ رسلَه وأتباعهم بالنصر والتمكين في الأرض إذا نصروا دينه وثبتوا عليه واستقاموا على طاعة الله ورسوله ، كما تقدم ذكر ذلك في الآيات المحكمات ، وكما جرى لنبينا محمد ﷺ ، فقد أُوذي وعُدي من القريب والبعيد ، فصبر كما صبر الرسل قبله ، واستمر في الدعوة إلى ربه ، وجاهد في الله حق

الجهاد ، وصبر أصحابه وناصروه وجاهدوا معه حتى أظهر الله دينه وأعز جنده وخذل أعداءه ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، سنة الله في عباده فلن تجد لسنة الله تبديلًا ، ولن تجد لسنة الله تحويلًا ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة : ٥٦] ، وتقدم قوله ﷻ : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقوله سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور : ٥٥] ، وقال سبحانه : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود : ٤٩] .

وأسأل الله ﷻ أن ينصر دينه ويُعلي كلمته ، وأن

يصلح أحوال المسلمين ، ويجمع قلوبهم على الحق ، وأن يفقههم في دينه ، وأن يصلح قادتهم ، ويجمعهم على الهدى ، ويوفقهم لتحكيم شريعته ، والتحاكم إليها والحذر مما خالفها ، إنه جوَّاد كريم .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتابعهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

أخي المسلم :

بعد قرائتك لهذا الكتاب نرجو إهداءه إلى غيرك ليعُمَّ نفعه ، ولا تنسَ يا أخي أن تدعو لمن طبعه وساهم في نشره بالأجر العظيم ، والفوز بجنات النعيم ووالديه ولأهله وذريته .

* * *

فهرس المحتويات